﴿ الاحداث النفسانية ﴾ والحركات العضلية

من المعلوم ان انفعالات النفس تؤثر في حركات الجسد فتقبض العضَل او تبسطها بما يُستدَلّ منهُ على الحدَث الذي عرض للنفس من حزنٍ او فرح او غضبٍ او رضى او غير ذلك مما تعرفهُ في الشخص بمجرَّد نظرك اليهِ فهي ولا جرم لغةٌ طبيعية تتكلم بها الاعضآء وتُتناول بالبصر وبالتالي فهي من النظر بمنزلة الاصوات الطبيعية من السمع . ولذلك فكثيراً ما يعبَّر بحركات الاعضآء عن انفعالات النفس من طريق الكناية فيقال في الغضب مثلاً رَمَع انفهُ وانتفخت اوداجهُ واربدَّ وجههُ وزَوَى ما بين عينيهِ وكشر عن نابهِ وابدى ناجذهُ وازبد فوهُ ورأيتهُ يعضّض شفتيهِ وبات يقوم ويقعد . ويقال في الفرح بشَّرتهُ بكذا فبرقت اساريرهُ وبرق ثغرهُ وتهلل وجههُ ولمع البِشر في عينيهِ ورأيتهُ طلق المحيَّا مشرق الجبين وقد هشّ للامر وهزّ لهُ عطفيهِ وهزّ لهُ منكبيهِ . ويقال في الحزن بلغهُ نبأ كذا فأُسِفَ وجههُ ونكس بصرهُ واطرق برأسهِ وخشع ببصرهِ وطأطأ هامتهُ واسبل دمعهُ وواصل زفراتهِ وبات ليلهُ قَلِق الوساد وبات يَجرَض بريقهِ ورأيتهُ يقلّب كفيَّهِ ورأيتهُ متلدداً اي يتلفت يميناً وشمالاً من الحيرة ورأيتهُ مُسبطًاً اي مدلياً رأسهُ مسترخي البدن الى غير ذلك مما يطول سردهُ

وهذا غير مخصوص بالانسان بل كثيراً ما تراهُ في الحيوان الاعجم فتستدلّ بهيئتهِ او حركات بعض اعضآئهِ على ما يضمر من الانفعالات

الباطنة وذلك كما تشاهدهُ في الكلب مثلاً فانك تراهُ تارةً مستخذياً واني الحركة منكسر الطرف مما يدل على شعورهِ بألمٍ او وجع وتراهُ تارةً يطفر ويثب ويلعب وهو دليل الأَشَر والنشاط وتراهُ حين الغضب قد شمَّر انفهُ وكشر عن انيابهِ وحين التحبب والاستعطاف يبصبص بذنبهِ وعند الخوف يكثر الحركة والاضطراب ويتجمع على نفسهِ كانهُ يطلب ان يستذري بعضهُ ببعض وقس على ذلك انتفاش صوف السنَّور عند الفزع وانتشار عِفرِيَة الديك عند الغضب وانتصاب اذني الفرس اذا اوجس خيفةً او حذراً الى ما اشبه ذلك

على ان هذه الدلائل كثيراً ما تتشابه مع اختلاف الانفعالات الباعثة لها او تَضادِّها كما ترى العبوس مشتركاً بين الغضب والحزن والتبسم مشتركاً بين الاعجاب والاستخفاف الا ان ذلك اكثر ما يكون عند بلوغ الاثر النفساني مبلغهُ من الشدة فترى الارتعاد مثلاً يحدث عند اشتداد الغضب وعند اشتداد الخوف والوناء يحدث عن كدّ النفس بالحزن او الهمّ وعن الاستغراق في اللذَّة او المسرّة وترى من اصابتهُ مصيبةٌ فادحة يطفر ويثب حتى لا يتقارُّ من شدة الجزع وكذا من بلغ منهُ الفرح او الأَشَر او ملكهُ الطرب او اخذ منهُ الضجر او اليأس فتجد حركات العضل في جميع هذه الاحوال متماثلة وكثيراً ما يلتبس مدلولها حتى تُقرَن بدليلٍ آخر من الادلَّة الخاصَّة

ثم ان هذه الحركات منها اضطرارية كعبوس المحزون وتهلل المسرور ونحوهما وهي تعمّ كل افراد النوع ومنها اختيارية كلطم الوجه عند التفجع

والرقص عند الفرح وتحريك الركبتين او الرأس عند الطرب وانغاض الرأس عند الهزؤ والاستخفاف وهي تكون عند بعض الناس دون بعض الا انها ربما غلبت عند غلبة التهيج حتى تكون احياناً كالاضطرارية . ومن هذا القبيل غالب اشارات المحدّث وهي تكثر وتقلّ تبعاً للعادة حتى ان من الناس من لا تخلو لهُ عبارة عن اشارة ومنهم من لا يكاد يشير اذا تكلم الاّ حفزتهُ الحدّة الى تاكيد كلامهِ كما يفعلهُ المخاصم والخطيب فيعزّز لفظهُ بالاشارة التي تفيد معناهُ . وهذا مما يدلّك على ان هذه الحركات كلها طبيعية ولذلك تُفهم بمجرَّد النظر اليها كما يُفهَم صوت المتأوّه مثلاً لأوّل سماعهِ وعليها بُنيت مخاطبة الصُمّ بالاشارة وبُني على هذا نوع التمثيل الايمآئي المعروف بالپنتوميم فانهُ تُسرَد فيهِ قصصٌ طويلة تستفاد من مجرَّد الحركات والاشارات وهي تكون اوضح مفهوماً كلما كانت اقرب الى المطبوع

اما كيفية حدوث هذه الحركات فذكروا انها تتأتى عن انفعالٍ شديد في مركز الحسّ من الدماغ ينشأ عنهُ تهيجٌ في العصب ينتشر في سائر خلاياهُ انتشار المجرى الكهربآئي فتتحرَّك بهِ العضل الحركات الدالة عليهِ . وقد يكون بعض هذه الحركات مسبباً عن انقطاع المجرى العصبي بعد تهيجهِ فيحدث عند ذلك حركاتٌ مخالفة للحركات التي نشأت حال التهيج وذلك كما اذا ورد على الانسان ما يدعو الى الغمّ مثلاً ثم عرض عليهِ في تلك الحال ما ازال غمهُ فما انقبض من العضل عند الاثر الاول ينبسط عند عقيبهِ . ولا يخفى ان هذا انما يصدق على الحركات الاضطرارية دون الاختيارية وان استوى الطرفان في الدلالة على ما في النفس

وهذه الحركات قد تكون خاصةً ببعض الاعضاء كالعينين والانف والشفتين وقد تعمّ الجسم كلهُ اذا اشتدّ السبب المحدث لها فان الحزن والانكسار اذا بلغا مبلغهما من الانسان وجدتهُ مسترخياً بجملتهِ من رأسهِ الى قدميهِ فترى عينيهِ مطرقتين ونظرهُ فاتراً وعنقهُ متدلّية ويديهِ مرسلتين وظهرهُ منحنياً وكل حركاتهِ وانيةً ثقيلة . وبخلاف ذلك من استولى عليهِ الفرح والأَشَر فانك تراهُ نشيطاً مختالاً فَكِه النفس طلق الوجه برّاق العينين وترى حركتهُ خفيفةً حتى كأَنهُ لا يجد لجسمهِ ثقلاً وكانهُ يهمّ ان يَثِب عن الارض مرَحاً

واما الحركات الاختيارية فالاظهر ان غالبها حركاتٌ معنوية يقود اليها الطبع وقد تكون فيها شركةٌ للفكر وكأَنّ فيها تقليداً للحركات النفسانية او تمثيلاً لبعض المعاني العقلية او الحسية . وذلك ان من يلطم وجههُ من الحزن او الغضب مثلاً كانهُ يصوّر ما تجد نفسهُ من المضّ والالم فيمثل الحال الباطنة بصورة محسوسة . وكذا من يحرّك رأسهُ من الطرب كانهُ يشير الى تلاعب النغم بنفسهِ وما اثر فيها من الحركة والاهتزاز . وقس على ذلك تلفُّت الحيران والمتضجر فانهُ لا يطلب شيئاً محسوساً يراهُ حواليهِ ولكن كأَن نفسهُ تطلب لها مخرجاً مما هي فيهِ او تلتمس من يشير عليها برأي فيظهر ذلك منهُ بحركة عنقهِ ونظرة عينيهِ . وهناك معانٍ لا تُحصى كالدلالة على الإباء بهزّ الكتف فكأن صاحب هذه الاشارة يشعر بثقل ما يكلَّفهُ فينفضهُ عنهُ بحركة كتفهِ . ومثلهُ من سُئل عن شيء فانكر فانهُ قد يعبّر عن انكارهِ بالحركة نفسها كانهُ يتبرأ مما سُئل عنهُ وينفضهُ عن نفسهِ ولذلك فان

بعضهم يشير الى هذا المعنى بنفض طوقهِ او جيبهِ والمعنى في الكل واحد. ومن هذا القبيل الاشارة الى الايجاب والنفي بحركة الرأس سفلاً او عُلواً حتى ذكر داروين ان امرأةً عمياء صمّاء كانت تستخدم هاتين الحركتين للاشارة الى المعنيين المذكورين وهو غريب . والظاهر ان المقصود في هذه الدلالة حركة الذقن بخصوصها لا حركة الرأس بجملتهِ فيشار الى الايجاب بتحريك الذقن الى جهة الصدر اي جهة الشخص نفسهِ كانهُ يشير الى ان الامر المسؤول عنهُ موافق لما في نفسهِ مقارنٌ لمعتقدهِ وبعكس ذلك حركة النفي فانها تكون الى الجهة المخالفة لجهتهِ كانهُ يشير الى بُعد ذلك الامر عنهُ وانتفائهِ غير انهُ لما كان تحريك الذقن وحدها غير ممكن لزم بالضرورة ان يتحرَّك الرأس معها في الحال الاولى الى الاسفل وفي الحال الثانية الى الاعلى وهو ظاهر . وهاتان الحركتان انفسهما تستعملان في طلب الدنوّ والبعد الحسيين فتشير الى الشخص بالاولى اذا امرتهُ بالمجيء اليك وبالثانية اذا امرتهُ بالذهاب عنك وبيّنٌ ان هذين المعنيين لا يُتصوَّران من حركة الرأس الا اذا كان البناء فيها على الوجه الذي ذكرناهُ فتكون حركة الذقن في الحالين اشبه بحركة اليد فان من يدعو انساناً اليهِ يشير بيدهِ الى جهة نفسهِ واذا اوعز اليهِ بالذهاب اشار الى الجهة المخالفة

والاشارة بالذقن الى مثل ما ذكر قد تكون في غير ذلك كما يفعل من يوكد قولهُ انا وانت فانهُ عند قولهِ انا يشير بذقنهِ الى جهة صدرهِ اي الى جهة نفسهِ وعند قولهِ انت يشير الى جهة المخاطب وهذا كما يشير بيدهِ في الحالين فتكون الذقن نائبةً عن اليد ولا يبعد ان يكون استعمال الذقن

في هذه الاشارات لمجاورتها للفم فكأن الاشارة بها تنوب عن النطق او كأن الاشارة تقع بالفم كله لا بالذقن وحدها

وجملة الامر ان اعضاء الجسم آلاتٌ للنفس تستخدمها في اغراضها وتستعين بها في ابلاغ ما يمرّ بها من الخواطر وابرازها في صُوَرٍ محسوسة تؤدَّى عن طريق احدى الحواس فتتناول تارةً من طريق السمع وتارةً من طريق النظر وتارةً يُتوصل اليها من طريق اللمس كما يفعلهُ الذين يقرأون الافكار وكما تضع يدك على صدر الخائف ونحوهِ فتشعر بضربات قلبهِ . وفي هذا البحث كلامٌ طويل لا يسعنا استيفآؤهُ في هذا المقام على ان اكثر ما ذكرناهُ في هذا الفصل مما لم نرَ فيهِ كلاماً لاحد والله اعلم

جوّ الارض

نقتضب هذا الفصل اجابةً لبعض القرّآء في بيان تركيب جوّ الارض ووزنهِ وارتفاعهِ نستند فيهِ الى آخر ما انتهت اليهِ مباحث العلمآء في هذا الاوان مع الاقتصار على قدر ما يحتملهُ المقام من التفاصيل اذ لو شئنا الافاضة في كل ما زاولوهُ من ضروب الامتحان للتوصل الى هذه الحقائق لاقتضى استيفآء ذلك مؤلفاً برأسهِ

اما تركيب الهوآء فقد اصبح من المشهور اليوم انهُ يتألف من عنصرين وهما النتروجين والاكسيجين على نسبة ٤ الى ١ او على نسبة ٧٩،٢ من النتروجين الى ٢٠،٨ من الاكسيجين . ويخالطهُ نحو ٣ الى ٦ من عشرة آلاف من غاز الحامض الكربونيك وهو اكثر ما يكون في الطبقات

السفلى منهُ ومقدارٌ من بخار المآء يتفاوت بتفاوت الحرارة واختلاف الفصول وحركة الرياح ومقادير قليلة من غاز الامونياك والحامض النتريك . وهو محيطٌ بالارض من جميع جوانبها تابعٌ لها في دورانها ومسيرها في الفضآء لان الارض تجذبهُ الى جهة مركزها على حدّ سائر ما عليها من الاجسام ولذلك كان الهوآء من الموادّ ذات الوزن وان كنا لا نشعر بثقلهِ لما سنذكرهُ

وثقل الهوآء مما تنبه لهُ متقدمو الفلاسفة ورُوي انهُ ورد كلامٌ عنهُ في بعض مؤلفات ارسطوطاليس الا انهُ لم يثبت بالاختبار الا في اواسط القرن السابع عشر حين اثبت توريشلّي احد فلاسفة الطليان ان ارتفاع المآء في مضخةَّ السحب ناشئٌ عن ضغط الهوآء لانهُ وجد ان المآء فيها لا يرتفع زيادةً على ٣٢ قدماً فيكون عمود المآء على هذا العلوّ موازناً لعمودٍ من الهوآء من سطح الارض الى اعلى الجوّ . ولتأييد هذه الحقيقة عمد الى انبوبٍ من الزجاج طولهُ متر فسدَّهُ من احد طرفيهِ وملأهُ زئبقاً وغمسهُ من الطرف المفتوح في انآءٍ من الزئبق فانخفض الزئبق الذي في الانبوب حتى استقرّ على ارتفاع ٢٨ قيراطاً اي نحو ٧٦ سنتيمتراً ثم اصغى الانبوب فازداد طول عمود الزئبق فيهِ الا انهُ لم يتجاوز ما كان عليهِ من الارتفاع عن سطح الزئبق الذي في الانآء فثبت من ثمَّ ان ارتفاع الزئبق والمآء في الانبوب حاصل عن ضغط الهوآء على ما حولهُ وعلى هذا بُني اختراع ميزان الهوآء المعروف بالبارومتر . ثم ظهر لبسكال ان عمود الزئبق في انبوب توريشلّي يهبط بمقدار ما يُرتفع بهِ عن مساواة الحضيض بسبب قصر عمود الهوآء واختُرعت بعد ذلك آلة تفريغ الهوآء فثبت بها ثقل الهوآء بما لم يبقَ

معهُ مكانٌ للريب

واما مقدار ثقل الهوآء او مقدار ضغطهِ على سطح الارض فقد فُهم مما تقدم ان عموداً من الزئبق علوّهُ ٧٦ سنتيمتراً يوازن عموداً من الهوآء يبلغ علوُّهُ آخر طبقات الجوّ وذلك اذا كان العمودان في قطرٍ واحد . وحينئذٍ فاذا فرضنا ان عمود الزئبق قاعدتهُ سنتيمتر مربع فان جملتهُ تكون ٧٦ سنتيمتراً مكعباً والسنتيمتر المكعَّب من الزئبق يزن ٥٩٨ ،١٣ غراماً فيكون وزن العمود كلهِ هذا المقدار مضروباً في ٧٦ اي ٤٤٨ ،١٠٣٣ غراماً ويكون ذلك هو وزن العمود من الهوآء . ثم من المعلوم ان الهوآء الجوّي كغيرهِ من السائلات يتَّجه ضغطهُ الى جميع النواحي فاذا جُعِل في انبوب لم يكن ضغطهُ على اسفل الانبوب فقط ولكنهُ يضغط على جدرانهِ ايضاً بقوّة ٤٤٨ ،١٠٣٣ غراماً على كل سنتيمتر مربع . وعليهِ فاذا كان الانسان المتوسط القامة يبلغ مسطَّح جسمهِ ١٧،٠٠٠ سنتيمتر مربع كان ما يقع عليهِ من ضغط الهوآء نحو ١٧،٥٧٠ كيلغراماً وهو ولا شك ثقلٌ فاحش لو وقع مثلهُ على جسم الانسان لسحقهُ ولكننا لا نشعر بهذا الثقل لان ما في اجسامنا من السوائل المرنة يضغط من الداخل الى الخارج بمقدار ما يضغط الهوآء من الخارج الى الداخل فيتكافأ الضغطان ويُبطِل كلٌّ منهما فعل الآخر . واما ضغط الهوآء على عامَّة سطح الارض فاذا حسبنا ان الارض يبلغ مسطَّحها نحو ٥٠٠،٠٠٠ مليار من الامتار المربعة كان مقدار ضغط الهوآء عليها يعادل ٥،١٦٧،٢٤٠،٠٠٠ مليار كيلغرام وهو يقرب من $\frac{١}{١٠٠٠٠٠٠}$ من وزن جملة الارض

واما كثافة الهوآء الجويّ فتختلف تبعاً لارتفاعهِ عن سطح الارض ولبيان درجات كثافتهِ نقول اذا فرضنا ان انبوباً مملوءاً هوآءً ممتدٌّ من سطح الارض الى اعلى طبقات الجوّ فمن البين ان كل دقيقة من الهوآء الذي فيهِ تتحمل ضغط كل ما فوقها منهُ . وبما ان الهوآء مرن وبالتالي يقبل الانضغاط بالنسبة الى مقدار الثقل الواقع عليهِ فانهُ ولا جرم تتناقص كثافتهُ كلما ارتفع صُعُداً وهذا التناقص يترتب على نسبةٍ هندسية اي اذا كانت الكثافة على علوٍّ مفروض فوق سطح البحر تعدل نصف الكثافة على مؤازاة سطح البحر فعلى ضعفي هذا العلوّ تتناقص الى الربع ثم يتوالى النقص على هذه النسبة كلما ازداد الارتفاع ضعفاً فتكون $\frac{1}{16}$ ثم $\frac{1}{64}$ وهلمَّ جرًّا . وبمعرفة مقدار الكثافة او الضغط على مسافاتٍ مختلفة من الجوّ يُعرَف مبلغ ارتفاع الهوآء في تلك الكثافة وبهذه الطريقة يُستخدَم البارومتر في تقدير ارتفاع الجبال عن سطح الارض وارتفاع المنطاد في الهوآء

واما قياس سَمْك الجوّ اي مجمل ارتفاعهِ فوق سطح الارض فقد اتخذوا لهُ عدة ذرائع منها قياس ارتفاع الشفق وهو كما لا يخفى ينشأ عن انعكاس اشعة الشمس عن اعالي الجوّ وانعكاسها يكون على خطٍّ مماسٍّ لموقف الراصد من سطح الارض وقد وُجد بالمراقبة ان ارتفاعهُ عند منتهاهُ اي عند بلوغ الشمس ١٨ درجة تحت الافق يكون من ١٠٠ الى ٣٠٠ كيلومتر . ومنها قياس ارتفاع الشُهُب عند رؤيتها منقضَّةً في الجوّ وهي اجسامٌ تخترق الهوآء بسرعةٍ عظيمة فتلتهب بسبب الحرارة الناشئة عن صدم الهوآء لها ويقاس ارتفاعها برصدها من مكانين وقد وُجد انها

تختلف من ١٠٠ الى ٤٠٠ كيلومتر . ومنها خسوف القمر فانهُ على الغالب يُرَى حول ظل الارض الواقع عليهِ ظلٌّ شفاف يتميز عن الظُلَيل الهندسي ظاهر الحدود يكون عرضهُ نحو دقيقتين من قوس وهما تقدَّران بنحو ٣٦٤ كيلومتراً . ومنها ارتفاع الفجر الشمالي وقد وُجد قياسهُ من ١٠٠ الى ٢٥٠ كيلومتراً وعلى ذلك كله ِ فجوّ الارض لا يقل ارتفاعهُ عن ٤٠٠ كيلومتر

على أن الهوآء وان لم يتوصلوا الى تحقيق ارتفاعهِ من طريق الضبط فان لهُ ولا شك حدًّا ينقطع عندهُ ولا يتجاوز الى ما ورآءهُ فهو اذن لا يستمرّ على امتدادهِ شيئاً فشيئاً في ابعاد الفضآء على ما يتوهم في بادي الرأي . وذلك انهُ لو كانت الارض قارّةً بجميع اجزآئها لكان الجوّ يمتدّ مع تناقص الضغط عليهِ الى ما لا يتعين لهُ حدّ ولكن هذا يمتنع بسبب دوران الارض على نفسها وما ينشأ عن هذا الدوران من القوّة الدافعة عن المركز وهذه القوة تزداد مع البعد عن سطح الارض وتتناقص معها قوّة الجذب حتى يُنتَهى الى حدٍّ تتكافأ فيهِ القوّتان وذلك عند ما تبلغ المسافة عن سطح الارض ما يعدل نحو ست مراتٍ ونصف من قياس نصف قطرها اي نحو ٣٦٠٠٠ كيلو متر وهذه المسافة هي معظم البعد النظري لامتداد الجوّ والحدّ الذي اذا كان للارض فيهِ تابعٌ دار حولها في ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة اي مدة دوران الارض حول نفسها وكل ذرّة من المادة توجد ورآء هذا الحدّ فانها تدور حول الارض من دون ان تُحدِث ضغطاً على ما تحتها وبالتالي فانها لا تُعتبَر جزءاً من الارض

بقي الكلام في شكل الهوآء الجوّي اي ما هو عليهِ من الشكل الاجمالي

والذي يسبق الى الذهن انه ينبغي ان يكون كرويّاً تبعاً للجاذبية العاملة فيهِ الان هذا انما يكون لو كانت الارض قارّةً ايضاً غير انهُ لما كانت الارض دائرةً على محورها والجوّ تابعاً لها في دورانها كانت القوّة الدافعة عن المركز يزداد فعلها في اجزاء كلٍّ منهما كلما بعدت تلك الاجزاء عن محور الدوران. ولما كان معظم فعل القوّة الدافعة على النواحي الاستوآئية لزم منهُ ان يكون شكل الجوّ هليلجيّاً اي منتفخاً من عند خط الاستوآء ومفلطحاً من ناحيتي القطبين بل الذي يقضي بهِ النظر انهُ لا بدّ ان تكون هليلجيتهُ اشدّ من هليلجية الارض بسبب تخلخل دقائقهِ ودوام فعل حرارة الشمس عليهِ في النواحي الاستوآئية مما يزيد في انتفاخ شكلهِ هناك والله اعلم

الواحة الخارجة

لحضرة الكاتب الاديب نجيب افندي ماضي

وقفت في الجزء الاخير من مجلتكم الغرّآء على كلامٍ في واحة سيوة نقلاً عن زائرٍ لتلك الناحية وصفها وصف عيان وقد رأيت لزيادة الفائدة ان اكتب اليكم شيئاً عن الواحة الخارجة احدى الواحات التي ذكرتموها هناك وهي من اشهر الواحات واخصبها واوسعها واكثر ما ساذكرهُ عنها منقول عن كلام احد الذين زاروها واختبروا حالة تلك الناحية وعوائد اهلها

وهذه الواحة واقعة في خط ثيبة القديمة وتبعد عنها نحو ١٢٠ ميلاً غرباً وهي تمتدّ من الجنوب الى الشمال من فوق اسنا الى ما دون جرجا وموقعها في وادٍ خصيب كثير النبات والينابيع ويكثر فيها النخل والارز

والزيتون والمشمش والليمون والتين وفيها عدة آثار قديمة مصرية ورومانية في الجهة الجنوبية منها هيكل مصري تعلوهُ قبة معقودة بالحجارة والى غربيهِ هيكل روماني مبني بالآجُرّ وقد حوَّلهُ القبط الى كنيسة والى شماليهِ هيكل آخر مصري تغشى جدرانهُ نقوش مصرية. وكل ما هناك من الابنية المصرية وما عليها من الكتابات والآثار مطابق لما يرى في مصر لكن الآثار الخطية التي وجدت عليها لا يُعرَف منها في اي زمن ولا على عهد اي ملكٍ بُنيت فالظاهر ان الآثار الدالة على ذلك قد ذهبت فيما تخرَّب من هذه الاماكن بيد انهُ وُجد على احد الهيا كل اسم دارا الاول ملك الفرس

والواحة الخارجة تابعة اليوم لمديرية اسيوط وعدد سكانها لا يزيد عن اربعة آلاف نفس وهم يسكنون في بيوت لا يزيد ارتفاع سقوفها عن متر ونصف يبنونها بالحجارة الصغيرة والطين وشوارعها ضيقة طويلة وكلها مسقوفة وسقوفها لا ترتفع كثيراً عن سقوف البيوت وليس لها منافذ يدخل منها النور ولذلك يسمونها بالدروب المظلمة. ويقال انها بنيت كذلك صدًّا للعدوّ عن الاغارة عليهم لانهم كثيراً ما تحدث بينهم وبين القبائل المجاورة مناوشات فاذا انهزموا من وجوههم ودخلوا البلدة لم يجسر العدوّ على دخولها لضيق شوارعها وظلمتها وكثرة تشعبها بحيث يضلّ فيها السالك الغريب ولا يمكنهُ ان يمشي فيها الا منحنياً لقرب سقوفها من الارض فلا يلبث ان يقع في ايديهم غنيمةً باردة

والناس هناك في غاية الفقر وسوء المعيشة وغالب غذآئهم التمر اذ لا مواشي عندهم ولا يكادون يذوقون اللحم الا اذا ساقت اليهم الاقدار جملاً

مهزولا يصلهم مع المسافرين بعد ان يكون قد قطع الايام الطويلة في رمال الصحرآء المحرقة فاعياهُ التعب واسقمهُ العطش حتى عجز عن المسير مع القوافل فيذبحونهُ ويقتسمون لحمهُ بينهم وربما كان مصاباً بمرضٍ وبيل فتتفشى فيهم الادوآء القتالة ويذهبون ضحايا الجهل والهمجية واذا تعذر عليهم الحصول على لحم الجمال فقد يا كلون القطط والجرذان وجلود بعض الحيوانات. ويشربون المياه القذرة التي تصل اليهم من الآبار الارتوازية بعد ان تكون قد قطعت مسافةً طويلة على قارعة الطريق تحمل اليهم الادران والخبائث ثم تنصبّ في بركٍ او مستنقعات راكدة تضربها الشمس وتجتمع فيها جراثيم الامراض فيشربونها من غير ترشيح ولا تصفية ويغسلون فيها ملابسهم وآنية بيوتهم فهم منها في وبآءٍ مستمرّ

اما عوائدهم وسائر شؤونهم فهي اشبه بما نشرتم عن اهل واحة سيوة فاكتفي بما ذكرتهُ تخفيفاً عن المطالع

﴿ حقوق التملك في الجاهلية ﴾

وردتنا الرسالة الآتية من حضرة الفاضل اللوذعيّ خطّار افندي ثابت فاثبتناها بنصها الفائق قال حفظهُ الله

بينما كنت اسرّح الطرف فيما اشتمل عليهِ الجزء الخامس من ضيآء السنة الحاليّة عثرت على جوابكم لحضرة الاصوليّ الفاضل عزتلو علي بك ابي الفتوح عن ملكية عرب الجاهلية العقارية واذ كنت مُولَعاً بجمع الآثار العربية من كتب اللغة والادب وقد اتفق لي العثور على شيءٍ في هذا

المعنى احببت ان ابعث اليكم بهذه النبذة تتمةً للفائدة

ذكرتم حكم الاراضي في الجاهلية وانها كانت مشاعةً بين القبيلة الواحدة لا ملك فيها لواحدٍ دون غيرهِ . اقول والظاهر ان المناهل والغدران كانت مشاعةً بينهم كذلك ولكن من حفر بئراً تجاه منزلهِ ملكها وملك المنزل بالتبعية ولم يعد لغيرهِ حق النزول فيهِ الا اذا غاب ربهُ . ومن الشواهد على ملكية الآبار وما يجاورها ما جآء في لسان العرب في مادة (ف ق ر) وذلك انهُ ذكر من معاني « الفقير » ان « يكون المآء فيهِ ههنا ركيتان لقومٍ فهم عليهِ وههنا ثلاث وههنا اكثر فيقال فقير بني فلان اي حصتهم منها كقولهِ

توزَّعنا فقيرَ مياه أُقرٍ   لكل بني أبٍ فيها فقيرُ

فحِصَّةُ بعضنا خمسٌ وستٌّ   وحصَّةُ بعضنا منهنَّ بيرُ »

قولهُ خمسٌ وستٌّ اي خمس آبار وستّ آبار يعني عدد الآبار التي حفرها كل قومٍ منهم وحق لهم تملكها والنزول عليها

وقال في مادة (م ح ق) بعد تعريف محاق القمر ما نصهُ . « ومحقَ فلانٌ بفلان تمحيقاً وذلك ان العرب في الجاهلية اذا كان يوم المحاق من الشهر بَدَر الرجل الى ماء الرجل اذا غاب عنهُ فينزل عليهِ ويسقي بهِ مالهُ فلا يزال قيّمَ المآء ذلك الشهر وربَّهُ حتى ينسلخ فاذا انسلخ كان ربهُ الاول احقَّ بهِ وكانت العرب تدعو ذلك المَحِيق » . اه

ومما يُستأنَس بهِ في هذا الموضع ما جآء في مادة (ج و ز) قال « والجواز المآء الذي يُسقاهُ المال من الماشية والحرث ونحوهِ وقد استجزت

فلاناً فأجازني اذا أسقاك مآءً لارضك او ماشيتك . قال القطامي

وقالوا فقُيم ٌ قيّمُ المآء فاستجزْ عُبادةَ ان المستجيز على قُتُرِ

قولهُ على قُتُر اسيء على ناحيةٍ وحرف اما ان يُسقى واما ان لا يُسقى .
والجوزة السقية الواحدة وقيل السقية التي يجوز بها الرجل الى غيرك وفي
المثل لكل جائلٍ [1] جوزة ثم يؤَذّن اي لكل مستسق ورد علينا سقيةٌ
ثم يُمنَع من المآء وفي المحكم ثم تُضرَب اذنهُ (وهو تفسير يؤذّن) اعلاماً
لهُ انهُ ليس لهُ عندهم اكثر من ذلك » . اه

متفرّقات

طريقة لتذليل المهر الشموس — جآء في احدى المجلات العلمية ان رائضاً اميركانياً استنبط طريقةً يذلل بها المهر الشَموس مهما كان فيه من الشراسة والعتوّ . وذلك انهُ يعمد الى المهر فيجعل في عنقهِ رسناً بسيطاً ثم يأخذ الرسن باحدى يديهِ ويلقي اليد الاخرى على ظهرهِ ويمرّها عليهِ ذهاباً واياباً ثم يلقيها على كفلهِ ويفعل كذلك فلا يلبث المهر ان يرفس وينتصب قائماً على رجليهِ . واذ ذاك يحتال بخفتهِ فيطرح الرسن على ذيلهِ ويعطفهُ من تحتهِ ثم يجذب الرسن بعنفٍ حتى يصير رأس المهر عند خاصرتهِ فيأخذ

(١) رواه في مادة (ا ذ ن) لكل جابهٍ قال الجابه الوارد وقيل هو الذي يرد المآء وليس عليهِ اداة الاستسقآء اه ولعل هذه الرواية اصح

يدور على نفسهِ كما يلعب الكلب بذنبهِ ثم يسقط على الارض وقد احسّ من نفسهِ بالعجز وحينئذٍ يحل الرسن ثم يؤانسهُ وينهضهُ وفي مثل سرعة الريح يثب الى ظهرهِ وبما يكون قد اصابهُ من تلك الدهشة يلبث منقاداً من دون ادنى مقاومة

اثر الاصابع — من المعلوم ان اثر الاصابع يُتَّخذ من آكد العلامات على هُوِّيَّة الشخص لان خطوط الجلد لا تنطبق على شكلٍ واحد بين شخصين كما تقدم لنا شرح ذلك في بعض اجزاء السنة الاولى من هذه المجلة . ومن لطيف ما حدث من عهدٍ قريب ان احد عمّال البريد في نيويرك فك ختم رزمةٍ فيها اشياء ثمينة وبعد ان اخذ منها ما طاب لهُ اعاد ختمها بالشمع وضغط عليهِ بطرف ابهامهِ . فلما ظهر الامر وعمدوا الى البحث عن السارق دُعي جميع العمّال الذين مرّت بهم تلك الرزمة وأُمروا ان يطبعوا اطراف اباهيمهم على الشمع ثم رُسمت آثار الاصابع بالفوتغرافية وكبّرت وعند المقابلة بينها عُرِف صاحب تلك الفعلة بشهادة نفس يدهِ التي سرقت ولا عجب فانها يدٌ لم تعوَّد الامانة

حياة البذور — امتحن بعض المحققين هذه المسألة فادَّخر كميةً من بذور القرنفل الاحمر مدة اثنتي عشرة سنة في قوارير مختومة تركها معرَّضةً للنور ثم زرعها فكان معدَّل مانبت منها ٣٥ في المئة . ثم دفن عشرين نوعاً من البذور في قوارير جعل في كلٍّ منها ٥٠ بذرة وخلطها بالرمل ثم دفنها على عمق ٨٠ سنتيمتراً وترك القوارير مفتوحة مع تنكيس افواهها الى

الاسفل وبعد خمس عشرة سنة اخرجها وزرعها فنبت منها احد عشر نوعاً كان معظم النابت منها ٢١ بذرة من الخمسين والتسعة الانواع الباقية لم ينبت منها شيء

اسئلة واجوبتها

القاهرة — بينما كنت اطالع في كتاب فقه اللغة المطبوع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت مصححاً ومضبوطاً بقلم حضرة الاب شيخو عثرت في صفحة ٦٧ على هذه العبارة « الوَضَح بياض الغرّة * التحجيل والبرص والبَهَق بياضٌ يعتري الجلد يخالف لونهُ وليس من البرص » . فلم افهم كيف يقول ان « التحجيل » بياضٌ يعتري الجلد مع ان المعروف ان التحجيل من الوان الشعر لا الجلد . ثم كيف يختم كلامهُ بقولهِ « وليس من البرص » مع انهُ عدّ البرص في جملة البياض الذي نفى كونهُ من البرص فكانهُ قال البرص ليس من البرص » وهو تناقضٌ ظاهر فكيف ذلك

وقرأت في صفحة ١٠٢ ما نصهُ « الشَّحْم ارتفاع قصبة الانف مع استوآء اعلاها » . وجآء بعد ذلك باسطرٍ قليلة « الخَشَم عِرَض الانف يقال ثورٌ اخشم » . وقد قلَّبت في كتب اللغة فلم اجد « الشحم » بمعنى ارتفاع قصبة الانف ولا « الخشَم » بمعنى عِرَض الانف فما صحة هذين اللفظين

وجآء ايضاً في هذا الكتاب في صفحة ٢٣٦ ما صورتهُ « قال ابو سعيدٍ السيرافيّ :

الخُربة بالبآء في الجلدِ والخُرتة بالتاء في الحديدِ

وقد اجتهدت في تقطيع هذا البيت فلم يستقم لي على وجه ولم اعرف من اي بحرٍ هو ولا كيف اتفق الجلد مع الحديد في القافية فارجو ان توضحوا لي هذه المعضلات كلها ولكم الفضل

ارنست ابو طاقية
من المتخرجين في مدرسة اليسوعيين
بالقاهرة

الجواب — اما المسئلة الاولى فهي ولا شك من «تصحيحات» حضرة الاب في هذا الكتاب وقد راجعنا هذا الموضع في النسخة المطبوعة في مصر وفي نسخة خطٍّ قديمةٍ عندنا فوجدنا العبارة في النسختين على هذه الصورة «الوَضَح بياض الغرّة والتحجيل والدرهم والبرص ، البهَق بياضٌ يعتري الجلد يخالف لونهُ وليس من البرص » . فقولهُ بياض الغرّة والتحجيل الى قولهِ والبرص كل هذا من معاني الوضح وقولهُ بعد ذلك البهق بياضٌ يعتري الجلد الى آخرهِ كلامٌ مستأنف وقولهُ اخيراً وليس من البرص عائدٌ الى البهق وحدهُ ولا تعلق لهُ بما قبلهُ وهذا هو المتعارَف في الاستعمال وعليهِ نصوص اللغة . قال في القاموس « الوَضَح محركةً بياض الصبح والقمر والبرص والغرّة والتحجيل في القوائم والشيب والدرهم الصحيح » الى آخر ما ذكر من معانيهِ . وقال في الصحاح في تفسير البهق هو « بياضٌ يعتري الجلد يخالف لونهُ ليس من البرص » اه . فنصّ على ان الذي ليس من البرص هو البهق لا البرص واما البرص فلا يكون الا من البرص بل هو البرص بعينهِ لا يحتمل مناقشةً ولا جدالاً

وبقي مما « يُتفكَّه بهِ » في هذه المسئلة ان حضرة الاب لما حذف حرف العطف قبل لفظ « التحجيل » وزادهُ قبل « البهق » صارت العبارة بهذه الصورة « التحجيل والدرهم والبرص والبهق بياض يعتري الجلد » فلما تأمل هذه العبارة وجد ان ذكر « الدرهم » لا يستقيم في هذا التعداد لانهُ لا يصح ان يقال الدرهم بياضٌ يعتري الجلد فحذفهُ ولعلهُ ظنهُ غلطاً من المؤلف وهو ولا جرم ضربٌ من الذكآء لا ننكرهُ على حضرة الاب لكن العجب انهُ انكر ان يكون الدرهم بياضاً يعتري الجلد ولم يفطن الى انهُ لا يجوز ان يكون البرص ليس من البرص

واما لفظتا « الشحم » و « الخشم » فالتحريف فيهما من الناسخ وان لم يقصد التحريف ولو انهُ صغَّر « حآء » الشحم حتى تصير بصورة « الميم » وقصَّر « شين » الخشم حتى تصير بصورة « الثآء » لقرأهما حضرة الاب « الشَمَم » و « الخَثَم » ... على انا لا ننكر على الاب فضيلة الامانة في نقل هاتين الكلمتين وان لم يراعِ هذه الفضيلة في نقل العبارة السابقة

واما مسئلة البيت الذي رواهُ لابي سعيد السيرافي ولم يتأتَّ لكم تقطيعهُ فان لحضرة الاب طريقةً في وزن الشعر غير الطريقة التي تعرفونها وان احببتم ان تقفوا عليها فراجعوا مجلد السنة الثانية من الضيآء صفحة ٨٥ . على ان الاب من الذين صنفوا في علم العروض فمن العجب ان يعلّم الناس اوزان الشعر ثم يلتبس عليهِ الفرق بين الشعر والنثر وما نظنهُ الا حسب هذه العبارة بيتاً من ارجوزةٍ للسيرافي في فقه اللغة لانهُ وجد الفقرة الاولى منها مختومةً بالجِلد والثانية مختومة بالحديد وكلتاهما آخرها دال . واما كون

الجلد والحديد لايتوافقان في القافية فهو مما لا يقف في طريق امثال حضرة الاب ... وقد اذكرتنا هذه المسئلة ما فعلهُ من نقيض ذلك في خطبة « الالفاظ الكتابية » حيث اورد المؤلف البيت الآتي في صفة الكلام فقال

تزين معانيهِ الفاظهُ والفاظهُ زائنات المعاني

وهو بيتٌ من بحر المتقارب فادمجهُ حضرة الاب في جملة النثر مع وجود التنبيه عليهِ في لفظ المؤلف حيث قال « ولكن مما يُحمَد من التأليف والنظم (والصواب في التأليف) ان يكون كما قلت » ثم اورد البيت فدل بذلك على انهُ يشير الى كلامٍ قالهُ من قبل واوردهُ هنا على سبيل التمثل كما يستدركهُ البصير من اول لمحة

آثار ادبيّة

كتاب ايثار الحق على الخلق — اهدت لنا شركة طبع الكتب العربية في القاهرة نسخة من هذا الكتاب الجليل وهو من تأليف الامام المجتهد ابي عبد الله محمد بن مرتضى اليماني استقرى فيهِ المواضع التي اختلف فيها ائمة الاسلام في تفسير الآيات القرآنية وكشف فيها عن وجوه الصواب بالنصوص والادلة . وقد استنسخت الشركة هذا الكتاب من مكتبة الجامع الاموي بدمشق واعتنت بطبعهِ وتصحيحهِ وهو يشتمل على نحو ٤٨٠ صفحة كبيرة وثمنهُ ١٥ غرشاً

الواسطة بين الخلق والحق ودفع الملام عن الائمة الاعلام — هما رسالتان من تأليف شيخ الاسلام تقي الدين الامام ابي العباس احمد بن تيمية موضوع الاولى بيان الواسطة التي ينبغي ان يتخذها الانسان بينهُ وبين الله عزَّ وجل وموضوع الثانية التماس العذر للائمة في الاخذ ببعض الاحاديث دون بعض والرسالتان مجموعتان في سفرٍ واحد يشتمل على نحو ٦٠ صفحة وقد اعتنت بطبعهما ادارة جريدة المؤيد على نفقتها وهما تطلبان من الادارة المذكورة

رواية السيد — هي الرواية المشهورة من تأليف المرحوم المأسوف عليهِ الشيخ نجيب الحداد تولى طبعها في هذه الايام حضرة الاديب جرَنت افندي اسكندر احد مهذبي شبان القاهرة رغبةً منهُ في الادب وحرصاً على آثار المؤلف وقد تكرم بجعلها هديةً برسم صاحب هذه المجلة فنشكرهُ على ما تفضل بهِ من هذه الطرفة الانيقة كما نشكرهُ عن المؤلف رحمهُ الله لما توخى في طبعها من تخليد ذكرهِ وتعميم شهرتهِ

والرواية مطبوعة على اجود ورقٍ مزخرفةٌ بالالوان الجميلة مما دلّ على شدة رغبة الطابع في تعزيز الادبيات وهي تشتمل على ما يقرب من ٩٠ صفحة وثمنها ستة قروش مصرية

بقية الآثار الادبية في الجزء التالي

فكاهات

رواية

فالنتين [1]

حدث في مدينة باريز سنة ١٨٦٩ ان صيرفياً اسمهُ المسيو فلوفيل اتى الى مصرفهِ صباح يومٍ فرأى المستخدمين والكتبة في حيرةٍ وقلق فاسرع يسأل عن السبب فوجد پروسپير امين الصندوق وعلى وجههِ سمات الحزن والاضطراب فسألهُ عن الخبر فقال لهُ ان المبلغ الذي نقدتنيهِ امس وقدرهُ ثلاث مئة وخمسون الف فرنك وديعة المركيز دي كلاميرون وضعتهُ في الصندوق وعند حضوري هذا الصباح رأيتهُ مفقوداً . فتعجب الصيرفيّ من هذا الحادث الغريب وامر حالاً بابلاغ الامر الى رجال الشحنة لتحقيق السرقة فجآءوا وفتشوا في جميع انحآء المصرف ولما لم يعثروا على شيءٍ القوا التهمة على امين الصندوق ولا سيما وان الصندوق لم يكن فيهِ اثر كسرٍ او خدش يدل على ان يداً غريبة مستّهُ . وبينما هم كذلك اذا بالمركيز دي كلاميرون يشقّ صفوف المزدحمين حتى مثل امام المسيو فلوفيل وطالبهُ بالمبلغ المحوَّل لامرهِ . فاعتذر اليهِ الصرّاف بما حصل وسألهُ ان يمهلهُ ريثما يقف على حقيقةٍ من امرهِ . فاستآء المركيز من كلامهِ والحّ عليه ان

(١) معربة بقلم السيدة لبيبة هاشم

يدفع المال في الحال والاّ فانهُ يُعلن افلاسهُ . فاخرج الصيرفيّ عند ذلك من صندوقهِ سندات على الحكومة ودفع لهُ منها المبلغ بتمامهِ فاخذهُ المركيز وخرج من حيث اتى

اما پروسپير امين الصندوق فسيق الى السجن كلصّ والحزن ملء فؤادهِ وما فتئ يكرر قولهُ للجنود انهُ بريءٌ فلم يُسمَع لكلامهِ مع ما كان معروفاً من استقامتهِ وحسن سيرتهِ وقد كان لهُ اسمى منزلة في قلب المسيو فلوڤيل الذي احضرهُ الى منزلهِ واسكنهُ مع افراد أُسرتهِ واختارهُ خطيباً لشقيقتهِ ولم يكن حينئذٍ باقياً الى العرس سوى اسبوعٍ واحد

فبقي پروسپير محجوزاً عليهِ مدة اسبوع كامل ثم بعد الفحص والتدقيق أُطلق سراحهُ لان الحكومة لم تجد وجهاً لاثبات التهمة عليهِ ولكنها ابقتهُ تحت المراقبة وعهدت الى رئيس الشِحنة السرّية ان يتحرى حقيقة هذه الحادثة . وفي تلك الاثناء تقدم المركيز دي كلاميرون يطلب مادلين شقيقة الصرّاف وخطيبة پروسبير عروساً لهُ

***

والآن نأتي على ذكر لمحةٍ من حياة قرينة المسيو فلوڤيل لعلاقتها بالرواية . فقد كانت هذه السيدة ابنة الكنت لاڤربري واسمها ڤالنتين توفي ابوها وهي صغيرة السن بعد ان جردتهُ الحكومة من امواله لانهُ كان من المتحزبين ضدها فاضطر ان يذهب بأُسرتهِ الى قصرٍ لهُ قديم يبعد ثلاثة اميال عن مدينة تراسكون قرب نهر الرون حيث شبت ڤالنتين يتيمة تحت عناية والدتها الكنتة لاڤربري

ولما كان بعض الايام سنة ١٨٤١ دعيت الكنتة وابنتها وكانت حينئذٍ قد بلغت سن السابعة عشرة الى وليمةٍ اعدها احد الاعيان احتفالاً بعيدهِ الفضي وكان من جملة المدعوين شخصٌ من أُسرة دي كلاميرون اسمهُ غستون وهو جميل الطلعة حسن البزة فتعرّف بالسيدة فالنتين وادهشهُ جمالها الفتان ولم تكن هي اقل منهُ اعجاباً بحسن طلعتهِ فتجالسا وتحاباً ولم يبتعد احدهما عن الآخر مدة السهرة كلها . وعند ارفضاض المدعوين انتهز غستون فرصة الوداع نخلا بفالنتين هنيهةً على انفراد وصرَّح لها بوجيز العبارة بما خالج فؤادهُ من الوجد والهيام وقابلتهُ هي بكشف ستار الحب فاتفقا على ان يلتقيا كل مسآءٍ في حديقتها وكان منزل دي كلاميرون على الضفة الثانية من نهر الرون فذهب كلٌّ الى منزلهِ متهلّلاً بصدى نغمات الحب التي كانت لا تزال ترنّ في آذان المتحابَّين . ولكن ضبابة كثيفة كانت تحجب عن اعينهما نور السعادة وتقف في مجرى آمالهما وذلك انهُ كان بين الأُسرتين عداوةٌ سابقة منذ زمن لويس الثالث عشر افضت الى اراقة الدمآء فلم يعد امل بعد ذلك في توثيق عرى المودة القديمة التي كانت بينهما غير ان ذلك لم يمنع غستون من زيارة حبيبتهِ كل مسآء اجابةً لداعي الغرام ودام الامر كذلك ما يزيد على سنتين وغستون يجتهد في تجديد صلات الصداقة بين الاسرتين كي يتمكن من الاقتران بها ولكنهُ لما وجد انهُ لا يمكنهُ استئصال جرثومة البغضآء بينهما ولا مخاطبة ابيهِ في هذا الشأن والتصريح بحبهِ لفالنتين على رؤوس الاشهاد خطبها من امها سرًّا وفي اثنآء ذلك سافرت والدة فالنتين وابنتها الى باريز بدعوة من بعض

اقاربهما هناك فاغتنم غستون هذه الفرصة وتبعهما الى باريز وهناك اقترن بفالنتين لكن ابقى قرانهُ مكتوماً الى ان يتم مسعاهُ بتقريب الأُسرتين. غير ان الناس كانوا بعد ذلك يرونهُ يكثر من التردد عليها وهم يجهلون حقيقة زواجهما فاخذوا يقبحون سيرتهما بكل شفةٍ ولسان

واتفق ذات يوم وجود غستون في احد الاندية فسمع اسم امرأتهِ يتردد على ألسنة بعض الحاضرين بالهزء والسخرية فاستشاط غيظاً وهجم على المتكلم كالاسد الضاري وقبض على عنقهِ وضربهُ بالارض فحطم عظامهُ فتألب القوم وهجموا عليهِ هجمةً واحدة بقصد امساكهِ ولكنهُ افلت منهم بخفة الريح وساعدهُ الحظ بالهرب من المدينة فسافر الى حيث لا يعلم لهُ اثر كي يتخلص من العقاب الذي يتهددهُ

وبعد ثلاثة اشهر من هربهِ سمعت فالنتين ان زوجها قد غرق وهو مسافر من مرسيليا الى الديار الاميركية فهرولت الى قصر كلاميرون لتتحقق الخبر فرأت الناس يخرجون ويدخلون زرافاتٍ يعزّون اباهُ الشيخ ولما تحققت الخبر رجعت الى قصرها وهي تلطم نفسها من شدة الحزن والاسى واخبرت والدتها بما كان من الامر فشق عليها هذا الخبر واقامت شعائر الحزن اسفاً عليهِ

وبعد قليل من وفاة زوجها وضعت غلاماً دعتهُ راعول فكان لها اكبر تعزية بعد فقد بعلها فربتهُ على مهد الرفاهية والدلال ولما بلغ الخامسة من عمرهِ ارسلتهُ الى مدرسة من مدارس لندن كي يتلقى العلوم فيها وفي تلك الاثناء تقدم المسيو فلوفيل لطلب يدها فلم ترفض طلبهُ فاقترن بها وسافرا

الى باريز حيث تعاطى حرفة الصرافة على ما سبق ذكرهُ

***

وبعد مضيّ خمس عشرة سنة من اقترانهما ومضيّ ستة اشهر من سرقة البنك اذ كانت فالنتين جالسة في غرفتها دخلت الخادمة واعطتها بطاقةً مكتوباً عليها اسم المسيو دي كلاميرون . فلم تقع عيناها على ذلك الاسم حتى ارتاعت وتصبب العرق من جبينها ولبثت متحيرة لعلمها انهُ مات منذ عشرين سنة ثم امرت الخادمة ان تدخلهُ الى غرفتها الخصوصية ففعلت . ولما وقعت العين على العين تأملتهُ فالنتين فلم تعرفهُ فظنت ان طول الزمان قد غير من ملامحهِ فقالت غستون . . اجابها باسماً لا يا سيدتي انني لست بغستون وانما انا لويس اخوهُ فقد مات اخي منذ امدٍ قصير اذ كان آتياً الى باريز بقصد ان يراكِ وقد اتفق ان شاهد ابنهُ وابنك راعول في احد الاندية واثبتت لهُ شواهد الحال انهُ ولدهُ فضمهُ الى صدرهِ واوصاني بهِ خيراً . فلما سمعت فالنتين منهُ ذلك انكرت باديء بدءٍ متنصلة من ذلك الزواج ولكنها لما علمت من حديثهِ انهُ مطلعٌ على السريرة التي كانت مكتومة عن كل احد وانها قرينة المركيز دي كلاميرون التزمت السكوت . ومضى لويس في حديثهِ فقال ولا يخفى ايتها السيدة ان اخي مات فقيراً لا يملك شروى نقير وان ابنكِ لفي حاجةٍ الى التربية التي تستلزم النفقات الجمة فجئت اعرض على مسامعكِ هذا الامر . فنقدتهُ فالنتين ما وجدتهُ في جيبها ووعدتهُ بالمزيد اذا جمعها بولدها فضرب لها موعداً لذلك الساعة الثانية من اليوم التالي في نزلٍ كان يقيم فيهِ مع راعول ثم ودعها وانصرف

وفي الساعة المعينة ذهبت فالنتين في عربة اجرة الى النزل المقيم فيهِ لويس وبحثت عن الغرفة حسب اشارتهِ لها ولما انتهت اليها قرعت الباب ففُتح للحال فرأت امامها شاباً لطيف الجملة يناهز العشرين فسألتهُ عن لويس فاجابها بعد ان دعاها للجلوس انهُ ذهب الآن الى حيث لا اعلم بعد ان انتظر قدوم سيدة قد تأخرت عن الموعد المضروب . فاجابتهُ انا هي السيدة التي ينتظرها . فقال هل حضرتكِ مدام فلوفيل . قالت نعم ومن انت . قال انا اسمي راعول وابي غستون دي كلاميرون واما والدتي ... فصاحت فالنتين انا هي والدتك وفتحت لهُ ذراعيها فرمى بنفسهِ على عنقها وكانت ساعةً مؤثرة

واخذ راعول يخاطبها باحاديث مختلفة تدل على نبل اصلهِ وشرف محتدهِ حتى لم يبقَ لديها ريبٌ ان دمها يسير في عروقهِ . وعند ختام الجلسة نهض راعول الى محفظتهِ فاخرج منها اوراقاً واراها لوالدتهِ قائلاً لقد اخبرني عمي لويس بانهُ قادرٌ على اذيتكِ بواسطة هذه الاوراق التي تثبت زواجكِ بأبي ولكن سآء فألهُ فها اني احرقها امام عينيكِ وللحال اوقد شمعةً وجعلها كلها طعمةً للنار فسرى عن والدتهِ بعض القلق ثم اعطتهُ صرةً من النقود وودعتهُ وانصرفت على امل ان يزورها في قصرها ثاني يوم

ومن ذلك الوقت اخذ لويس يتردد اليها وبصحبتهِ راعول فعرَّفتهما بزوجها وبابنة حميها مادلين وتبودلت الزيارات بينهم وكان لويس قد شغف بحب مادلين فاخذ يتزلف اليها غير انهُ رأى منها الصد والنفور فعلم اخيراً انها مخطوبة لشابٍ اسمهُ بروسبير امين الصندوق في مصرف المسيو

فلوفيل ومن ذلك الحين اخذ يحث راعول على ابتزاز المال من والدتهِ دفعةً بعد اخرى حتى اضطرت اخيراً ان ترهن حليها وحليّ مادلين للقيام بمطالبه . كل ذلك ولويس يتظاهر باستيائهِ من سلوك راعول ابنها وانهماكهِ في الملاهي والمقامرة وانهُ اتخذ كل الذرائع الممكنة لتقويم سيرتهِ وابعادهِ عن تلك الخطة السيئة فلم يهتدِ الى ذلك سبيلاً والحقيقة انهُ كان يقصد بذلك سلب مالها وسقوط الاسرة في وهدة الفقر حتى تضطر مادلين اخيراً الى قبولهِ طمعاً في مساعدتهِ لهم

***

بينما كان لويس جالساً ذات يومٍ عند المسيو فلوفيل اتى رسول البريد حاملاً رزمةً من الرسائل فوضعها امام فلوفيل وذهب فتناول فلوفيل الرسائل ولما فتحها وجد بينها رسالةً من اميركا موقعاً عليها باسم المركيز كلاميرون وفي ضمنها حوالة بقيمة مئة الف فرنك يطلب دفعها لامر احد التجار . فسأل لويس ما هي الصلة بينك وبين المركيز دي كلاميرون فانهُ وضع عندي مبلغاً وافراً من المال وأحال عليّ بجانبٍ منهُ الآن . فانتبه لويس من غفلتهِ وقال لا اعلم احداً بهذا الاسم سواي فلعلهُ انتحل اسمي ليظهر بين الناس شريفاً . قال لكن مثل هذا الشخص لا يصدق عليهِ مثل ذلك فانهُ من الاغنياء في اميركا وقد ترك المعامل التي لهُ هناك وجاء من عهدٍ قريب الى اسبانيا ومن هذه الحوالة يظهر لي انهُ يقصد الاقامة فيها . قال هل لهُ عنوان يعرف بهِ محلهُ . قال ان عنوانهُ ولا شك موجود في الدليل لانهُ من الرجال المشهورين في اميركا واوربا . فتناول لويس الدليل عن

المائدة وبحث فيهِ عن العنوان ونقلهُ على ورقة وبعد قليل ودعهُ وانصرف

ولم يكن ذلك المركيز سوى اخيهِ غستون وكان لم يزل في قيد الحياة لا كما ادعى لويس امام فالنتين . وتفصيل الخبر ان لويس اخا غستون بعد هرب اخيهِ ووفاة ابيهِ باع كل ما لديهِ من الاملاك والرياش وتوجه الى باريز فلبث فيها مدة خمس سنين ينفق الاموال الطائلة بين موائد القمار ومعاقرة بنت الحان ومنادمة الحسان حتى نفدت ثروتهُ وكان قد سمع ان فالنتين ولدت من اخيهِ ولداً وارسلتهُ الى مدرسة لندن فجعل يسأل عن الولد حتى ظفر بهِ فجعلهُ آلةً لاستنزاف اموال آل فلوفيل

وبعد ان ذهب لويس من عند الصيرفيّ سافر توًّا الى اسبانيا حيث قابل اخاهُ ومكث عندهُ عدة ايام لقي فيها من البشاشة والاكرام ما يقصر عن وصفهِ القلم ثم ان اخاهُ عرض عليهِ ان يشاركهُ في ثروتهِ الطائلة ويشاطرهُ ربع اموالهِ وكتبا بينهما صكاً في ذلك واقاما على تلك الحال بضعة ايام . ولما رأى غستون ان لهُ اخاً يمكنهُ الاتكال عليهِ في جميع الاشغال صمم على ان يذهب الى باريز لان نفسهُ اشتاقت الى مرأى الوطن واهلهِ ولما علم منهُ اخوهُ لويس ذلك اجتهد ان يصرفهُ عن هذا العزم خوف ان يفتضح سرّهُ وتحبط مساعيهِ ولما لم ينجح دسّ لهُ السمّ فمات ضحيةً على مذابح الطمع والفساد فبكاهُ اخوهُ بكاءً مرًّا وكان يتظاهر امام الناس بشدة الحزن ثم دفنهُ بالاكرام ورجع الى بيتهِ فرحاً بهذا الفوز المبين ومن ذلك الحين صار هو صاحب تلك الثروة الواسعة ولقب نفسهُ بالمركيز دي كلاميرون

وبعد مضي شهرين من هذا الحادث كتب كتاباً الى المسيو فلوفيل

يطلب منهُ اداء المبلغ الباقي للمركيز دي كلاميرون وقدرهُ ثلاث مئة وخمسون الف فرنك فاضطر المسيو فلوفيل الى تجهيز المبلغ قبل حلول اجل الدفع بيومٍ وسلمهُ الى امين صندوقهِ

وفي ذلك الحين حضر المركيز من اسبانيا واجتمع براعول واوعز اليهِ ان يتخذ جميع الوسائل للحصول على المبلغ المذكور لظنهِ انهُ لا بدّ ان يكون مودعاً تلك الليلة في الصندوق فاتى راعول الى امهِ قبل المسآء وكان الدمع يترقرق في عينيهِ فذاب قلب فالنتين حنوًّا عند رؤيتهِ على تلك الحال وسألتهُ عن سبب بكآئهِ . فاجابها انهُ قادمٌ لوداعها لانهُ يقصد الانتحار . فكاد يغشى عليها لدى سماع هذه الالفاظ واخذت تسألهُ بلهفةٍ عما دعاهُ الى هذا الامر فاخبرها انهُ خسر بالمقامرة ما يزيد على ثلاث مئة الف فرنك فان امدّتهُ بهذا المبلغ والا انتحر لا محالة . فاستعظمت والدتهُ المبلغ ولكن حياة ابنها كانت اثمن لديها من كافة ثروتهم فاخذت توبخهُ وتريهِ عاقبة تهوّرهِ واسرافهِ فكان حانياً رأسهُ ودموعهُ تتساقط على خديهِ ثم جثا على قدميها تائباً واقسم الايمان المغلظة ان هي اعطتهُ هذا المبلغ يعود عن غيهِ ويحسن مسلكهُ . فتأثرت فالنتين من اقوالهِ وصدقتها ولكن من اين تأتي بالمال وهي لا تملك درهماً . فسألها ان تعطيهُ مفتاح صندوق المال ليأخذ مطلوبهُ فابت وبعد جدال وتهديد استمرّ بينهما عدة دقائق ذهبت فاحضرت لهُ المفتاح من غرفة زوجها خلسةً ودفعتهُ اليهِ ثم سقطت مغشياً عليها . فاخذ المفتاح وهرول الى المصرف وهو في الطبقة السفلى من البيت واخذ القيمة المودعة ورجع ادراجهُ فوجد والدتهُ لم تزل مغشياً

عليها فعالجها حتى افاقت واعطاها المفتاح وقبل ان تجمع حواسها تركها وانصرف وفي صبيحة اليوم الثاني شاع امر السرقة واتهم امين الصندوق

ثم ان راعول اجتمع بالمركيز كلاميرون وطالبهُ بجزآء خدمته فانكر عليه ذلك وحدث بينهما جدال ونفور افضى براعول الى كشف الغطآء واظهار الحقيقة لمدام فلوفيل فكتب اليها كتاباً يكلفها الحضور في الساعة الرابعة من ذلك النهار ليطلعها على امرٍ هو من الاهمية بمكان

فلما كان وقت الظهر تناول المسيو فلوفيل رسائلهُ فوجد بينها كتاباً باسم قرينته ففتحهُ للحال لانهُ كان قد وُشي بها اليه فداخلهُ من ذلك غيرة دفعتهُ الى مراقبة احوالها ولما قرأهُ اهتزت اعصابهُ غضباً اذ وضحت لهُ خيانتها ولكنهُ كظم غيظهُ وردّ الكتاب الى الصندوق. وفي الوقت المضروب رأى امرأتهُ قد خرجت واكترت عربةً وقصدت المكان المعين فاقتفى اثرها حتى اذا دخلت على راعول وابتدأ في سرد قصته لم تشعر الا وزوجها واقفٌ بينهما وغدّارتهُ بيده وعيناهُ يتطاير منهما الشرر وقبل ان يطلق النار اذا برجلٍ امسك بيده وقال لهُ على رسلك ولا تدع الغيظ يقودك الى ما لا تحمد عقباهُ . انني من رجال الشحنة السرّية وانا مطلعٌ على كافة احوالكم واسراركم واخبرك ان هذا الشاب لم يسئ اليك ولا دنس شرفك واما قرينتك فقد اتت الى هذا المكان لتشاهد ابناً لها كان امرهُ مكتوماً عنك واذا رمت شرح الحقيقة فاجلس كي اتلوها عليك .

فجلس واخذ الرجل يسرد عليه حياة فالنتين وما كان من امرها مع كلاميرون الى ان قال لهُ واما ولدها راعول فقد مات منذ اكثر من سنتين

فاتخذ لويس هذا الشاب عوضاً عنهُ واتفق معهُ على مبلغ يدفعهُ اليهِ وجاء بهِ الى باريز فقدّمهُ الى امرأتك يوهمها انهُ ولدها . ثم مضى في حديثهِ فشرح لهُ امر السرقة بالتدقيق وانهُ حين وقع اختلاف بينهُ وبين المركيز دي كلاميرون على الاجرة اراد ان ينتقم منهُ بان يطلع قرينتك على حقيقة الامر وانهُ ليس ابنها بل مأجوراً من قِبَل المركيز لارتكاب هذا المنكر الذي لم يكن قصدهُ منهُ سوى اذلالكم وابتزاز ثروتكم حتى اذا جرّكم الى وهدة الخراب يعرض عليك المال بشرط ان تزوّجهُ مادلين شقيقتك لانهُ كلف بها . فعند ذلك خفض المسيو فلوفيل روعهُ ولا سيما حين اعترف الشاب المدعوّ باسم راءول بصدق كل ما فاه بهِ الشحنة ثم اخرج راءول من جيبهِ كافة الاوراق والحلى التي حصل عليها بدهائهِ ووضعها على مائدة كانت امامهم وانتهز فرصة اشتغالهم بالبحث فيها وانسلّ هارباً . فاسترجع المسيو فلوفيل كل اوراقهِ وشكر الشحنة شكراً جزيلاً ثم عرض عليهِ ان يطلب ما يريد منهُ جزاء صنيعهِ فقال لهُ ان ملتمسي الوحيد هو ارجاع بروسبير الى مركزهِ وتزويجهُ من شقيقتك مادلين وبما ان كشف هذه المسألة امام المحاكم يمسّ شرف اسرتك فسأغضّ الطرف عنها وسوف اقتص من المركيز دي كلاميرون بطريقة لا دخل لها معكم واستأذن للحال وخرج وعاد فلوفيل بامرأتهِ الى المنزل . وفي اليوم الثاني شاع خبر القاء القبض على المركيز كقاتل اخيهِ وحكمت عليهِ المحكمة بعد ذلك بالاعدام وتزوج بروسبير بمادلين وعاشوا جميعاً بالصفاء والنعيم